## قراءة نقدية

# الإشعاع القرآني في الشعر العربي (*)

عاطف عيسى

يَشُدُّك عنوان الكتاب، فتسرع إلى مطالعته ودراسته. وللوهلة الأولى، يتبادر إلى ذهنك أن موضوع الكتاب يتناول الدراسات العلمية في القرآن الكريم، ولكن بعد أن تبحر في صفحاته الأولى، تجد نفسك أمام كتاب عادي وتقليدي، يعالج كاتبه موضوعاً مألوفاً، كثيراً ما تناوله الباحثون والدارسون(١).

يبيِّن الكاتب كيف تأثر الشعراء بالقرآن الكريم وسحر بلاغته، وبديع بيانه، وجزالة ألفاظه، وجمال أسلوبه، وحسن تركيبه، وروعة معانيه، كما أنه يحدد التلاحم الروحي والأدبي والفني بين الشعراء العرب والمسلمين وبين القرآن الكريم، فكراً، وأسلوباً، ومنهجاً. هؤلاء الذين اتخذوا من القرآن منارة هدى، ومنهل معرفة، ومصدر نور يضيء سبيلهم، ويرسم مستقبلاً زاهراً لهم وللأجيال القادمة.

يشير المؤلف في المقدمة بأنه لم يقصد بكتابه هذا بحثاً أكاديمياً يستوفي الشروط الموضوعية لكل بحث أدبي، وإنما غايته أن يقدم كتاباً يدور موضوعه حول تأثر الشعراء بالقرآن الكريم، منذ

(*) الإشعاع القرآني في الشعر العربي. محمد عباس الدراجي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية. بيروت ١٩٨٧.

(١) الإسلام والشعر. يحيى الجبوري. منشورات مكتبة النهضة. بغداد ١٩٦٤، الإسلام والشعر. سامي العاني. مجلة (عالم المعرفة)، العدد (٦٦)، الكويت، حزيران ١٩٨٣، الإسلام والشعر. فايز ترحيني. دار الفكر اللبناني، بيروت.

العصور القديمة إلى عصرنا الحديث. ويستعرض المؤلف أسماء السور والآيات القرآنية التي ضمنها الشعراء في قصائدهم، واقتبسوا منها الألفاظ والمعاني، ومن الطبيعي أن تُكْسِبَ هذه الألفاظ، والمعاني الشعراء قدرة على الصياغة الجميلة، وروعة في التعبير، وأن تُضيفَ مدلولات جديدة في أشعارهم وقصائدهم. لذلك اقتبسوا من القرآن مفردات لغوية كثيرة، وصوراً بيانية رائعة، وأخيلة بديعة، وبخاصة قصص القرآن، حيث ألهمتهم دروساً في الإيمان والصبر والنضال من أجل العقيدة والمبدأ، فبعض الشعراء شبَّه صبره بصبر النبي أيوب، وبعضهم قارن بين حزنه وحزن النبي يعقوب.

أما قصة النبي يوسف، فقد تأثر بمعانيها الإنسانية النبيلة كثير من الشعراء العباسيين، كالفرزدق، والعباس بن الأحنف، وأبي تمَّام، وأدخلوا مفرداتها في قاموسهم اللغوي، واستعانوا بها على توليد أفكار جديدة، وصور غير مألوفة.

يقول الفرزدق مشيراً إلى عفو النبي يوسف عن إخوته الذين ألقوه في الجبِّ[٢].

كُنْ مثل يوسف لما كاد إخوته ... سلَّ الضغائن حين ماتت الحِقَدُ

ومن الأبيات الرائعة التي لم يوردها الكاتب في أثناء الحديث عن قصة النبي يوسف، قول العباس بن الأحنف الرائع[٣]:

سلوا عن قميصي مثل شاهد يوسف ... فإن قميصي لم يكن قُدَّ من قُبُلْ

والشاعر يشير هنا، إلى قصة النبي يوسف مع امرأة عزيز مصر، بقوله تعالى: ﴿**إن كان قميصه قُدَّ من قُبُلٍ فصدقت وهو من الكاذبين**﴾[٤].

واقتبس العباس بن الأحنف أيضاً الآية الكريمة: ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾[٥]. وضمنها في قوله:

---

(٢) الإشعاع القرآني في الشعر العربي. ص ١٥٦.

(٣) ديوان العباس بن الأحنف. تحقيق عاتكة الخزرجي (مطبعة دار الكتب، مصر، ١٩٥٤)، ص ٢١٣.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٢٦.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٢٤.

خفضت لمن يلوذ بكم جناحي وتلقوني كأنكم غِضَاب[٦]

ومن الشعراء المشهورين الذين تأثروا بالقرآن الكريم لفظاً ومعنى، شعراء الغزل في القرن الثاني الهجري[٧]، فهذا بشار بن برد، يتمثل الآية، من سورة الواقعة ﴿**إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة**﴾[٨]، في قوله[٩]:

يا عبدُ خافي الله في عاشقٍ يهواك حتى تقع الواقعه

كذلك يتمثل الآية الكريمة: ﴿**ومن شرِّ النفاثات في العقد**﴾[١٠] في قوله[١١]:

كأن فؤادي في خوافي حمامةٍ من الشَّوقِ أو صنع النوافث في العُقَدْ

وكان أبو نواس من المتأثرين بأسلوب القرآن، فها هو يُقسم بسور من القرآن الكريم تظرفاً ولغواً يؤكد إخلاصه لإحدى صواحبه[١٢]، فيقول[١٣]:

والله مُنْزِل طهَ والطّورِ والذّارياتِ
ألمر ص و(قٍ) والحشْرِ والمرسَلاتِ
وربّ هودٍ ونونٍ والنورِ والنازعاتِ
لا رُمتُ هجرَك حبي حتى، وإنْ لم تواتي

والكاتب لم يشر إلى الأبيات السابقة في كتابه، كذلك لم يعلل سبب هذا التأثير والتمثل من القرآن الكريم، وإن دلَّ ذلك دلالة واضحة على ثقافة الشعراء الدينية، ومعرفتهم بالقرآن في

---

(٦) ديوان العباس بن الأحنف؛ ص ٢٢.

(٧) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري. يوسف بكّار، (دار الأندلس، ١٩٨١)، ص ٣٧٩.

(٨) سورة الواقعة، الآية: ١ و٢.

(٩) ديوان بشار بن برد. تحقيق محمد الطاهر بن عاشور (مطبعة لجنة التأليف والنشر. القاهرة، ١٩٥٤)، ج ٢، ص ٥١.

(١٠) سورة الفلق، الآية: ٤.

(١١) ديوان بشار، ج ٣، ص ٧٠.

(١٢) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، ص ٣٨١.

(١٣) ديوان أبي نواس (دار صادر، بيروت) ص ١٢٠.

العصر العباسي. لكن السبب الرئيسي في هذا يعود إلى الجدل الذي كان قائماً آنذاك حول إعجاز القرآن في القرن الثاني الهجري.

ومن النماذج الرائعة التي أشار إليها المؤلف، قول الشاعر بولس سلامة[١٤]:

صفحةُ الكون بُدِّلتْ في ثوانٍ ... بين مرآتِها ضميرَ الدهورِ
فإذا أحمدُ العظيمُ نبيٌّ ... والمجيدُ القرآنُ حُلم العصورِ

ومن الأبيات الشعرية الجميلة التي لم يذكرها الكاتب في كتابه، أبيات للشاعر اللبناني رياض المعلوف، في حديثه عن مولد الرسول، وفيها يتطرق الشاعر إلى القرآن الكريم، وجمال ألفاظه، وصدق معانيه، وروعة بيانه:

وحِّدِ الله! فالمؤذنُ وحِّدْ ... وبذكر النبي في العيدِ أنشَدْ
يا رسولَ الأنام! أنت وعيسى ... خير من يُصطفى ويُرجى ويُقصد
إيه بغدادُ، والمآذن تشدو ... ودمشقُ فيها الصلاةُ تردّدْ
وفلسطين والعراق ومصرُ ... شرقُنا كلُّه بعيدِك عَيَّدْ
أينما سِرتَ رُكّعٌ لصلاة ... ودعاءٌ، كأنما الشرقُ مسجدْ
عيدُك اليوم غبطةٌ وابتهاجٌ ... لجميع الأعراب والله يشهدْ
إيه قرآنك الكريم كتابٌ ... رائع كلُّه، ودرٌّ مُنضّدْ
عِبرٌ كله وقول كريمٌ ... كلما طال عمرُه يتجدّد
وكفى العربَ فخرهم بانتسابٍ ... لنبيٍّ هو النبيُّ محمد

والشاعر يدعو في قصيدته هذه إلى الوحدة العربية في ظل راية الإسلام، بين الدول العربية: مصر، وسورية، والعراق، وفلسطين.

فالقرآن الكريم هو حياة اللغة العربية وروحها وكيانها، ومنبع لغة الضاد، وقمة إعجازها. فكيف لا يتأثر الشعراء على مرّ العصور بهذا الإشعاع السماوي الخالد!؟.

تكمن أهمية هذا البحث، في مراجعه الكثيرة، وفي العدد الهائل من الأبيات الشعرية التي

(١٤) الإشعاع القرآني في الشعر العربي. ص ١٤.

بذل الكاتب جهداً كبيراً في جمعها، وهذه سمة تدل على سعة إطلاعه، وصبره وجَلَدِه، وحرصه على تسجيل ما تقع عينه عليه من أبيات شعرية، لها علاقة بموضوعه الأدبي، وليس من السهل أن يستقصي الباحث ما اقتبس الشعراء المسلمون من القرآن لأنهم كانوا على صلة وثيقة به، عاشوا معه، واستمدوا منه أفكارهم، وأكثر صورهم وألفاظهم ومعانيهم، فتلونت أشعارهم بقرآنية واضحة(١٥).

ولم يقتصر هذا التأثير على الشعراء المسلمين فحسب، بل تعداه إلى عديد من الشعراء المسيحيين الذين أُعجبوا بسحر القرآن وبلاغته، مثل بولس سلامة، وجورج سلستي الذي يقول(١٦):

يا سَيدي يا رسول الله معذرةً ... إذا كبا فيك تبياني وتعبيري
على لسانِك ما جُنَّ البيانُ به ... وأقعد الشعرُ يرنو شبهَ مسحور
آيٌ من الله ما ينفكُّ مُعجزُها ... يعني على الدهرِ أعلامَ النحاريرِ
تَلوْتُها فَسرتْ كالنورِ مؤتلقاً ... يطوي الدُّنى بين ماهولٍ ومهجُورِ

ونرى الكاتب يشتعل حماساً في عرض الأبيات الشعرية بأسلوب خطابي انفعالي، ويبتعد فيه أحياناً عن الروح الأدبية والنقدية. كذلك غلبت على أسلوبه النزعة الإنشائية، والإنشائية في البحث الأدبي تنال من قيمته.

كما نلاحظ أن المؤلف لم يتناول الأبيات الشعرية في كثير من البحث والتحليل، ولم يدرسها دراسة نقدية، أو جمالية، وإن أشار إلى بعضها إشارات نقدية سريعة.

فالكاتب يخاطب وجدانية القارىء ومشاعره الدينية بلغة سهلة جميلة، فيزيدها خشوعاً وتهذيباً وإيماناً.

ومن الأمثلة الشعرية الجميلة التي يوردها، قول النابغة الجعدي، يرد فيه على ابنة عمه التي تلومه على خروجه للجهاد في سبيل الله(١٧):

---

(١٥) الإسلام والشعر، سامي العاني، ص ٢٢٤.
(١٦) الاشعاع القرآني في الشعر العربي، ص ١٤.
(١٧) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

مـا كـنتُ أعـرجَ أو أعـمى فـيعـذرني  أو ضـارعـاً من ضنًى من يستـطعْ حـولا

فالشاعر استمد قوله من الآية الكريمة، ليس على الأعمى حرجٌ ولا على الأعرج حرجٌ[١٨].

ومن الأبيات الرقيقة التي ذكرها الكاتب قول جميل بن مَعْمَر[١٩]:

لقـد فُضِّلَتْ حُسْنـاً عـلى النـاس مثلما  عـلى ألـف شهـرٍ فُـضِّلَتْ لـيلةُ الـقـدرِ

صورة عذبة جميلة، رسمها الشاعر لحبيبته بُثينة، فهو يفضلها على جميع النساء، كما فُضِّلَتْ ليلةُ القدر على جميع الليالي، ﴿**ليلةُ القدر خيرٌ من ألفِ شهر**﴾[٢٠].

وهكذا نرى أن الشعراء قد تأثروا بصور القرآن وبمفرداته وألفاظه ومصطلحاته، فأدخلوها في قاموسهم الشعري، فألهمتهم صوراً جميلة في التعبير والصياغة..

ومرة أخرى، يعود العباس بن الأحنف إلى القرآن الكريم، ليتمثل بعض مفرداته ومصطلحاته، فيقول[٢١]:

قـرأتُ حـا مـيـم وعـوذتُهـا  والـطُّور طـوراً ثـم بـالـغـاشـيـهْ

يـا رب فـاسمـع واستجب دعـوتي  عَـجِّـلْ إلى سـيـدتي الـعـافـيـهْ

وهذا الشاعر محمد حسين الصغير، يصف القرآن وحديث الرسول بأنهما أعذب المناهل وأعظم المنابع، نسقي بها أغراس حاضرنا ومستقبلنا، فيقول[٢٢].

فمن الكتـاب نـعبٌ أعـظمَ مـصـدرٍ  ومـن الـنـبيِّ نـعـبٌ أعـذبَ مـوردِ

إن الشاعر هنا، يعبر تعبيراً صادقاً عن إحساسه ومشاعره بأمانة ودقة.

إن كتاب «الاشعاع القرآني في الشعر العربي» ممتع ومفيد، يُعدُّ معيناً لمن يريد أن يتعرف على

---

(١٨) سورة النور، الآية: ٦١.

(١٩) الاشعاع القرآني في الشعر العربي، ص ١٤٦.

(٢٠) سورة القدر، الآية: ٣.

(٢١) ديوان العباس بن الأحنف (دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٢)، ص ٣٢٠.

(٢٢) الاشعاع القرآني في الشعر العربي. ص ١٩٤.

نماذج شعرية، تتضمن المعاني القرآنية، وصوره الفنية، ومصطلحاته اللغوية واللفظية. لكن هناك ملاحظات مهمة، لا بد من ذكرها:

**١ ـ علامات الوقف:**

فالكاتب لا يعير اهتماماً ملحوظاً لعلامات الوقف، وكما هو معلوم، إن الإساءة في استعمال علامات الوقف، تجعل المعاني تتداخل في معانٍ أُخرى، وتحدثُ نوعاً من الخلل البنائي في الأفكار والمعاني، وإرباكاً في فهمها وإدراكها(٢٣).

**٢ ـ الترتيب الزمني أو التاريخي في عرض الأمثلة الشعرية:**

فالمؤلف لم يعرض الأمثلة الشعرية معتمداً التسلسل الزمني، أو الترتيب التاريخي(٢٤). فمثلاً، نراه في (ص ٤٥) يتناول أبياتاً لأبي تمّام، ثم ينتقل إلى صالح العلي، فنزار قباني، فحسان بن ثابت، فذي الرّمّة.

وهذا ما يتنافى مع الدراسات الأدبية التي تعتمد على المنهجية من حيث الترتيب الزمني لوفاة الشعراء والأدباء.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

**٣ ـ التكرار، والحشو، والإطالة..**

هذه سمات بارزة في الكتاب. فالقارىء يمل من الحشو والاسهاب في فصول كان يستطيع الكاتب أن يجمعها في فصلين أو ثلاثة. كذلك التكرار يرهق القارىء في تتبع الأبيات، وقراءتها أكثر من مرة، في فصول مختلفة، تجعله يشعر بالملل والتعب.

**٤ ـ ترتيب المصادر والمراجع:**

لم يبذل الكاتب جهداً في ترتيب مصادره ومراجعه ترتيباً علمياً، فهو لم يعتمد الترتيب الأبجدي (الألفبائي). أو تأريخ تأليفها. حتى انه يخلط بينها، وبين المجلات والدوريات(٢٥).

---

(٢٣) المصدر نفسه، الصفحات: ١١، ١٢، ٢٣، ١٥١، ٢٠٠، ٢٢٢ وغيرها.

(٢٤) المصدر نفسه، ٥٣، ٦١، ٧٢، ٩٠، ٩٩ وغيرها.

(٢٥) المصدر نفسه، ص: ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

**٥ ـ الصياغة وسبك الأفكار:**

نجد في الكتاب خللاً بنائياً في بعض الفقر. انظر العبارة التالية:

«ومرة أُخرى يغرف السرّي الرّفاء ليغرف من نبع القرآن الكريم»[٢٦].

فالعبارة غير واضحة في التعبير والصياغة.

**٦ ـ الخاتمة:**

يفتقر الكاتب إلى خاتمة، يُلخِّصُ فيها المؤلف نتائج البحث وأهميته الأدبية، وقيمته الفنيّة.

**٧ ـ الأعلام..**

لقد ورد في الكتاب أسماء لشعراء مغمورين. فيا حبّذا لو عَرَّف المؤلف إلى القرّاء هؤلاء الشعراء، أمثال: أيمن بن خريم بن فاتك، ابن حيّوس، السرّي الرّفاء وغيرهم.

**٨ ـ أخطاء إملائية[٢٧]:**

وفي الكتاب، وردت أخطاء إملائية، لا تخفى على القارىء النبيه، ولا ندري إن كانت مطبعية، أو سقطت سهواً من الكاتب. وفي كلتا الحالتين، كان على الكاتب أن يستدركها.

---

(٢٦) المصدر نفسه ص ٢١٦ (الفقرة الثانية)؛ ص ٢٣٩ (الفقرة الأخيرة).

(٢٧) من الأخطاء الإملائية:

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب | الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٢٦ | ١ | وثبا | وثبَ | ٢٣ | ٥ | الرحمن | الرحمان |
| ٥١ | ٨ | الأله | الإله | ٧٢ | ٣ | قتبس | اقتبس |
| ١٣٤ | ١٣ | ينطفأ | ينطفىء | ١٤٠ | ١٠ | ابن | بن |
| ١٨٤ | ٤ | وكأنها | وكأنهما | ١٩٦ | ٤ | خطا | خُطى |
| ١٩٧ | ١٦ | مدحٌ | مدحَ | ٢٠٣ | ١٢ | مُدحٌ | مُدِحَ |
| ٢٢٥ | ١٣ | بن حيوس | ابن حيّوس | ٢٢٢ | ٢ | الرئيسي | الرئيس |
| ٢٤٨ | ١٢ | خطا | خطى | ٢٥٣ | ١ | أنها | إنها |

**٩ ـ أخطاء نحوية[٢٨]:**

وفي نهاية المطاف، لا بد أن نذكر أن هذا الكتاب، وإن كان يفتقر إلى المنهجية الأدبية والفنية، يبقى مرجعاً أدبياً مُهماً، في أبياته الزاخرة، وفي أبياته الوافرة. وهذا يدل على مدى اطّلاع المؤلف، وثقافته الواسعة، وقد بذل جهداً كبيراً وجَلَداً عظيماً في تقديم دراسة شيقة، يستحق عليها التقدير والثناء.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(٢٨) من الأخطاء النحوية:

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٢٢ | ١٤ | وكأنه مسكوياً | وكأنه مسكوبٌ |
| ٥٣ | الهامش (٥) | شعر ذي الرملة | شعر ذي الرّمة |
| ١٠٥ | الهامش ( ) | ديوان ذو الرمة | ديوان ذي الرمة |
| ٢٢٤ | ١٥ | واطلبْ الفهم | واطلبِ الفهم |
| ٢٣٩ | ١١ | مراسي | مراسِ |
| ٢٥١ | ١٥ | أين البابَ؟ | أين البابُ؟ |
| ٢٥٣ | الأخير | اقرأ القرآن | اقرإ القرآن |